شعرية السرد الروائي في رواية طوق الياسمين لواسيني الأعرج

الباحثة: خديجة ميلودي
إشراف: أ.د محمد زيوش
scholar_khadija@hotmail.com
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

الملخص:

امتازات الكثير من الأعمال الروائية بإبداعات متمثلة في شعرية السرد الروائي وما تضفيه هذه الأخيرة من جمالية وهذا ما تناولنه في موضوع بحثنا ، في البداية أعطينا تمهيد وبعد ذلك درسنا مصطلح الشعرية عند بعض الدارسين ، ثم العناصر الجمالية في الخطاب السردي والتي تضمنت مجموعة من الخصائص المتميزة كعنصر التضمين والعنصر العجائبي وعنصر المفارقة كلها مجتمعة زادت العمل الروائي جمالية.أيضا عناصر اللغة الشعرية والمتمثلة في الانزياحات التي قام بها الروائي أثناء كتابته لعمله وبعد هذا تعرضنا للتناص رواية طوق الياسمين مع طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي وفي الأخير درسنا شعرية الغلاف والعنوان ثم توجنا هذه الدراسة بمجموعة من النتائج.

الكلمات المفتاحية: الشعرية ; السرد ; الرواية ;واسيني الأعرج ; طوق الياسمين

Abstract

Many literary works were unique for their creativity, which were represented in poetic narrative novelist.This latter added aesthetic to the text, and the subject of this research deals with this matter Initially we began with a preface to the subject of the matter, then we studied the poetic term defined by some renowned scholars. After that, the aesthetic elements were discussed in collaboration with the narrative discourse. Which included a set of distinctive characteristics, such as the modulated element, the miraculous element and the irony element all of which integrated appended the literary work more aesthetic beauty.Moreover, elements of the poetic language represented in offsets, which the novelist made in while writing his works. In addition, this research dealt with intertextuality in the novel of "Jasmin Collar", with The Collar of the Dove by Ibn Hazam Andalusian. Finally, this research investigated the poetic of the cover and the title of the book, then deduced this study with a collection of results.

*** تمهيد:**

تتنوع اللغة في أعمال واسيني الأعرج ففي الرواية التي نحن بصدد دراستها نجد مزيج ، لغة النثر باللغة الشعرية والتي من خلالها يحاول الارتقاء فهذه اللغة تضفي جمالية داخل المتن الروائي وتعطيه قيمة فنية وتمنحه مجموعة من الآليات التي تكسبه عمقا وطرافة . فرواية" **طوق الياسمين**" من الروايات التي اعتمد فيها **واسيني الأعرج** لغة شعرية ، وهذا يعود إلى ما تحمله هذه الرواية من أهمية فهي مبنية على لغة شعرية غاية في الجمال والإبهار ويظهر هذا من خلال صدق مشاعر كاتبها وقوته في إظهار التجربة الإنسانية في اللحظات التي عاشتها شخصيات الرواية.

1- مفهوم شعرية السرد:

يعد مصطلح الشعرية من المصطلحات الشائعة في الدراسات النقدية المعاصرة ، ولكن يجب أن لا نغفل أن هذا المصطلح كان موجود منذ قرون مضت عند **أرسطو** في كتابه " **فن الشعر**":" **أقصد باللغة الملغزة تلك التي تتألف من مجازات واستعارات والحقيقة أن طبيعة اللغة الألغازية تتمثل أساسا في التعبير عن حقيقة ما بكلمات موضوعة في تركيبات لغوية مستحيلة ، فاستعمال الكلمات العادية أو الدارجة فيها يكسبها الوضوح المستهدف، ولكن ينبغي استخدام مؤسسات اللغة الشعرية في شيء من الاعتدال**"[1] يرى **أرسطو** أن اللغة الشعرية هي لغة ملغزة يتمكن المبدع من التعبير عن مكنوناته.فالشعر عنده محاكاة فالشاعر يجب أن ينظم عمله الشعري حتى يكسبه صفة الشعرية مما يضفي عليه طابع الجمالية الذي يكسبه آلية التنبؤ بالمستقبل .

تختلف التعريفات التي تناولت هذا المصطلح في الدراسات المعاصرة، فقد عنت هذه الكلمة عند **جون كوهين" بأنها الإحساس الجمالي الخاص الناتج في العادة عن القصيدة وهدف الشعرية هو البحث عن الأساس الموضوعي الذي يستند إليه تصنيف النص الروائي وذلك بالانزياح**"[2] إذن مفهوم الشعرية واسع فالانزياح يجب تخصيصه وذلك بالتساؤل عن علة بعض أنواعه جماليا والبعض الآخر ليس كذلك.

في الدراسات الحديثة الغربية بدأ هذا المصطلح مع الناقد الروسي **رومان جاكبسون** الذي أطلق عليها اسم "علم الادب" فهو يقول: " **إن محتوى مفهوم الشعرية غير ثابت ويتغير مع الزمن إلا أن الوظيفة الشعرية أي الشاعرية هي كما أكد ذلك الشكلانيون عنصر فريد لا يمكن اختزاله إلى عناصر أخرى**"[3] فالشعرية كلغة هي عنصر مكمل داخل العمل الأدبي وعنصر فريد . فهي عند **جاكبسون** "الأدبية" التي من خلالها تحول رسالة كلامية عادية إلى عمل فني ،فقد ركز **جاكبسون** في الشعر على وجه الخصوص على الجانب الشكلي الذي يهدف إلى ترك أثر محسوس في ذهنية المتلقي.

كذلك تناول **تزفيتيان تودروف** هذا المصطلح في كتابه " **الشعرية**" حيث قال:" **جاءت الشعرية حدا لهذا التوازي القائم على هذا النحو بين التأويل والعلم في حقل الدراسات اللغوية ، وهي بخلاف تأويل الأعمال النوعية لا تسعى إلى تسمية المعنى بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل فالشعرية إذن مقاربة للأدب مجردة وباطنية في الآن نفسه**"[4] أي أنها تعنى بالخصائص المجردة التي تسهم في صناعة الخطاب الأدبي فهي تعنى بالأدبية.فجو كوين" **يرى أن الشاعرية تشرح عناصرها من خلال لغة نثرية، النثر هنا لغة تقعيدية موضوعها الشعر**"[5] أي أنه ومن خلال الشعر نوضح ونبين النثر .

نستخلص أن العلاقة التي تربط الشعرية بالسرد هي مهمة تتمثل في القيمة الجمالية التي تضفيها هذه الأخيرة داخل العمل الروائي "**إذن فالرواية أسمى الأشكال التي يمكن أن تكون طريقة لحل الصعوبات وتجاوزها وأنها أهل لإقتبال إرث الشعر القديم برمته**"[6] ، فالوسائل التي يستخدمها الروائي من عاطفة وخيال واسع وموسيقى كلها تتحد من أجل إخراج عمل روائي نثري وفي نفس الوقت نجد الروائي يخرج عن هذا المسار لينتقل إلى عالم الشعر فمن قبل كنا نشهد انفصال النثر عن الشعر ففي الدراسات المعاصرة نلاحظ أن لا تمايز بينهما "**بل إن غياب الحدود بين الشعر والنثر أكثر من حضورها**" ، وكل هذا من خلال التمازج بين الأجناس الأدبية والارتقاء باللغة الشعرية داخل الأعمال

الروائية ،**فجاتيم فيكون Gaétan fichons "يعتبر النثر وسيلة تعبيرية غير منفصلة عن الشعر وهكذا للشاعر أن يسرد لنا بلغته الشعرية عالمه الروائي ولا شيء يمنع الكاتب من أن يباري الشاعر فيما يقوم به"**[7] أي باستطاعة الروائي أن يعبر عن عالمه الخاص في قالب نثري ، فالشعرية لا تتوقف عند الشعر فقط بل تخرج عن هذا إلى النثر يقول **تودروف:" يبدو أن الشعرية تنطبق على ماله صلة بإبداع الكتب أو تأليفها حيث تكون اللغة في آن واحد الجوهر والوسيلة، بالعودة إلى المبادئ الجمالية ذات الصلة بالشعر ، وستتعلق كلمة الشعرية في هذا النص بالأدب كله سواء كان منظوما أم لا بل قد تكاد تكون متعلقة على الخصوص بأعمال نثرية"**[8] سنحاول تتبع هذه اللغة الشعرية السردية الموجودة في رواية "طوق الياسمين" لواسيني الأعرج .

2- العناصر الجمالية في الخطاب السردي:

احتوت الرواية على عناصر جمالية أسهمت في إكساب النص قوة ، وهذه العناصر هي:

أ- التضمين: هذا العنصر من الخصائص المتميزة التي تعمل على شد انتباه المتلقي وجعله يغوص في أعماق المتن الروائي ولدراسته نقوم بتحديد الإطار الحكائي في الرواية.

1- **الحكاية الإطار:** وهي الحكاية التي تدور حولها رواية **طوق الياسمين** .تتكون الرواية من أربعة فصول معنونة كالتالي: "**سحر الكتابة، الطفلة والمدينة ، بداية التحول ، مسالك النور**" كل هذه الفصول تجمع لنا علاقة الكاتب بذكرياته وعالمه برفقة مجموعة من الشباب درسوا معه في جامعة دمشق بغية الحصول على الشهادة العليا وهذا في بداية الستينيات من القرن الماضي ، ليرجع الروائي إلى دمشق لتتفتح الجروح ويتذكر مريم والأيام التي قضاها في هذه المدينة بلد الحضارات بحاراتها وأسواقها وكل ما يحملة هذا البلد، ولتعود تلك الذكريات المكللة بالحزن والألم والاشتياق إلى محبوبته **مريم** من خلال مجموعة من الرسائل التي يتبادلها الروائي معها وتخلل هذه الرسائل بعض من مذكرات **عيد عشاب** وما عاشه هو الآخر مع حبيبته **سيلفيا**.

1.1-الحكايات المتضمنة:رقم 01(حكاية عيد عشاب)

احتوت الحكاية الإطار ، حكاية **عيد عشاب** الذي كان مدمنا على شرب الخمر مما أدى إلى تدهور صحته.يدخل باب العالم الآخر من خلال طوق الياسمين ليلج إلى عالم الراحة والطمأنينة وهو الباب الذي يؤدي إلى النور على امتداد البصر يقول **عيد عشاب:" البارحة رأيت حلما أخرجني من وضع وأدخلني في وضع آخر .رأيت سيدي الأعظم محي الدين بن عربي مرتديا لباسا خيوطه من الحرير الأبيض والفضة في يده اليمنى عصى من قصي البانبو يتكئ عليها كلما شعر بالتعب طلب مني أن أتبعه نحو طوق الياسمين أو الباب كما يسميه البعض كنت أعرف أنه يقودني نحو الموت...جئت لآخذك معي فأنا أعرف باب العبور نحو النور جيدا"**[9] فالبطل لحظة ضعفه يدخل من هذا الباب ليرتاح ويتخلص من خوفه ويتحرر من كل قيوده وهذا بسبب ما تعرض له جراء حبه **لسيلفيا** الفتاة المسيحية السورية التي آبى والدها أن يزوجها به بعد أن قام بخطبتها ، لذلك كان يعيش هذا العذب ليدمن على شرب الخمر وهو يكتب مذكراته من أجل أن يرتاح من واقع يخنقه ولا يستطيع تغيره، ليلتقي في أحلامه بشيخه **محي الدين بن العربي** ليقوده إلى اكتشاف طوق الياسمين الذي يخرجه إلى باب النور. عبر الروائي بلغة شعرية عن ألم

الحب الذي كان فيه البطل وعن الراحة التي وجدها عندما التقى بشيخه والعذاب الذي أراحه منه تتجلى الشعرية في هذا المقطع في دقة الوصف.

2.1- الحكاية المتضمنة:رقم02(العلاقة االتي ربطت واسيني بمريم)

العلاقة الحميمية التي ربطت الروائي **واسيني بمريم** ابنة بلده التي تمكنت من فهم العالم من خلال كلماته وكتبه ليكتشفا معا بعد ذلك حبهما لبعضهما واسيني الكاتب ومريم الفتاة الصغيرة ، وبعد فترة من الزمن تختلج نفس مريم فكرة مجنونة بأن تحمل بطفل من واسيني وذلك بسبب بلوغها لسن الثلاثين تطلب منه الزواج ولكنه يرفض لعدم استعداده لهذا الأمر ، مما يدفع مريم بالزواج من شخص اسمه صالح كان يلاحقها ويترك لها واسيني حرية الاختيار ولكن هذا الزواج يدمر لها حياتها لأن اشتياقها لواسيني يزداد أكثر فأكثر وذلك لعدم قدرتها على العيش من دونه تقول مريم في إحدى الرسائل:" **أنا ضائعة وبحاجة إلى صوتك ولصرخاتك المكتومة أريد أن أصرخ لكن شيئا ما لا يسعفني هل تعلم حبيبي أن في داخلي تنبت العواصف المدمرة وكل يوم يزداد الطوفان الذي يأكل الأخضر واليابس عمقا وانجرافا"**[10] يصف لنا هذا المقطع حالة مريم واشتياقها لواسيني فهي تكتم تلك المشاعر لدرجة أنها عبرت عن مشاعرها المكبوتة بأنها عاصفة تجتاحها وتدمر الأخضر واليابس، فقد صور لنا الروائي الحالة التي كانت فيها مريم بلغة شعرية فيها انزياح عن المألوف فالعواصف لا تنبت داخل الإنسان تتجلى شعرية السرد في دقة التعبير والوصف.

3.1- الحكاية المتضمنة : رقم 03 (العلاقة التي ربطت واسيني بمدينة دمشق)

يعبر الروائي عن مدينة دمشق بلغة شعرية في مقطع يقول:" **دقيقة واحدة فقط يا طفلة الأشواق الحزينة ويا مدينة موجوعة القلب تعج بالأطفال الفقراء ومسّاحي الأحذية وبياعي الفول... ياطفلة ساذجة تتقاتل في دمها الأسئلة القديمة والجديدة وروائح هذه الممرات الضيقة"**[11] في هذا المقطع عبر الروائي عن أسفه من خلال ما آلت إليه مدينة دمشق التي تذكر فيها كل الذي كان بينه وبين مريم بلغة شعرية فقد أعطاها اسم الطفلة الصغيرة، وجميعنا نعلم أن الطفل الصغير برئ أي أن هذه المدينة كانت تحمل صفات البراءة فيما سبق، فهي بلد الحضارات في نظره أما الآن فقد أصبحت مخيفة حتى خسرت الكثير من ملامحها ،صور لنا الروائي مدينة دمشق على أنها طفلة أي إنسان فاستخدام الروائي لهذا الانزياح أكبر دليل على شعرية لغة الرواية وذلك بسبب عدم اعتماده اللغة المباشرة والأسلوب الواضح في الفكرة من أجل دفع القارئ إلى التعمق في أغوار النص الروائي لفهم أبعاده الدلالية.

نستخلص أن الحكاية الإطار في رواية طوق الياسمين احتوت العديد من الحكايات المتضمنة وهذا عن طريق تقنية التضمين التي ساعدت على تحويل الزمن والانتقال من فترة إلى أخرى وذلك من خلال الاختلاف في سرد الأحداث والانتقال من قصة إلى أخرى داخل المتن الروائي مما يجعل القارئ يتشوق ليعرف ما يخفيه المتن الروائي قد يكون المؤلف يحكي عن ماض ثم يعود إلى مستقبل وهذا العنصر كان له دور ظاهر في إبراز شعرية السرد من خلال الوصف ودقة التعبير.

ب– العنصر العجائبي:

تناوله العديد من الدارسين العرب والغرب في الأعمال الأدبية وهو مصطلح يخرج فيه الروائي عن المألوف ، من أشكال العجائبية التي وردت في الرواية شخصية **الشيخ محي الدين بن العربي** فقد عدت هذه الشخصية عنصرا من عناصر العجائبية فقد ورد في المقطع الأتي: " **كانت رائحة الياسمين والنباتات الاستوائية قوية فجأة قام من قدام أرجلنا سرب من الطيور الملونة والفراشات عرفنا أننا قريبين من المصبات المائية مشينا قليلا وإذا بالماء ينهض أمامنا مثل الشلالات...ثم أخذني من يدي ، شد علي جيدا وبدأ يمشي على الماء كمن يمشي على اليابسة**"[12] تظهر العجائبية في قدرة الشيخ محي الدين على نقل **عيد عشاب** من عالم الواقع إلى عالم النور الذي تمكن فيه من زيارة العديد من الأماكن الموجودة في الطبيعة قدرته في المشي على الماء. نجد العجائبية في مقطع آخر يقول:"**ثم تتضح صورة ذلك الوجه الصبوح لرجل ملتح وذي شعر طويل رجل ينفرد بالحكمة وبقراءة القرآن بقلبه جدك الأندلسي وهو يفارق إخوته بمزيد من المرارة تأتيك الحروب التي قادت جدك في القرن الثالث عشر إلى هذه الزاوية الخالية التي لا شيء فيها سوى البحر الذي ينام تحت الهضبة التي كان جدك يقيم فيها صلاة الفجر**"[13] تظهر الشعرية في هذا المقطع من خلال دقة الوصف واختيار المفردات المناسبة في النص.

ج– عنصر المفارقة:

احتل عنصر المفارقة في الكتابات الروائية مكانة مرموقة فالروائي أصبح ينتقل من اتجاه يحاكي الواقع إلى اتجاه يقوم على المفارقة التي هي " **صيغة من التعبير تفترض على المخاطب ازدواجية الاستماع، بمعنى أن المخاطب يدرك في التعبير المنطوق معنى عرفيا يمكن فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى يدرك أن هذا المنطوق – في هذا السياق بخاصة لا يصلح معه أن يؤخذ على قيمته السطحية ويعني ذلك أن المنطوق يرمي إلى معنى آخر يحدده الموقف التبليغي وهو معنى مناقض عادة لهذا المعنى العرفي الحرفي**"[14] أي أن عنصر المفارقة يحمل معنيين ظاهري وباطني .وهذا التضاد الموجود في عنصر المفارقة يلحظه المتلقي أثناء عملية القراءة ومن خلال السياق الذي يكون فيه نلحظ هذه المفارقة التي تقوم على التضاد.وللمفارقة أشكال.

*** المفارقة اللفظية:**

فهي في الظاهر تحمل معنى غير المعنى الموجود في الباطن يقول **محمد العبد** في تعريفها" **هي شكل من أشكال القول،سياق فيه معنى ما ، في حين يقصد منه معنى آخر يخالف غالبا المعنى السطحي الظاهر**"[15] وعلى هذا مثلا إذا جئنا إلى العنوان الذي يتوج العمل الروائي نجد أن الأهمية لا تكمن في معرفة صاحب النص وإنما تكمن في معرفة محتوى العنوان وما يرمي إليه من دلالات عميقة باطنية ، فالمفارقة اللفظية التي يحملها عنوان روايتنا هي كالتالي:

فالمفارقة اللفظية من خلال رواية " **طوق الياسمين**" أنّ المعنى الظاهر للعنوان " **لبس من شجرة الياسمين**" أما المعنى الباطني فهي شجرة الياسمين الموجودة بمدينة دمشق والمحببة إلى قلوب الشاميين فقد كانت موجودة في أغلب البيوت الشامية قديما وتغنوا بها في أفراحهم وأتراحهم ، لهذه البلد التي بقيت في ذاكرة الروائي على الرغم من مفارقتها إلا أنه عاد إليها في النهاية لتعود به تلك الذكريات التي جمعته بمحبوبته مريم ليذكرها بأسواقها وكل الأماكن الموجودة فيها.

* **مفارقة الموقف:** تظهر فيما تقوم به شخصيات الرواية من أفعال وأقوال نذكر من المفارقات التالي:

– موقف مريم :رغبة مريم في الزواج من صالح كانت تصبو من خلالها إلى أغراض أخرى تقول " **كنت أظن أن الزواج سيفتح كل أبوابي المغلقة ولكن يبدو أنه مؤسسة لا تختلف عن بقية المؤسسات الأخرى التي لا تعمل إلا على تغريب عواطفنا وتعليبها والتصديق بالكذبة التي نبتدعها باستمرار حتى لا نموت قهرا ، أعذرني منذ زمن لم أرك ربما لأني أحاول أن أدرب نفسي على نسيانك وأقول لنفسي الآن صرت في بيت رجل آخر وعلي أن أظل فيه وأخادع عواطف وباستمرار**"[16] من خلال هذا المقطع نلاحظ بأن زواج مريم من صالح كان بغية نسيان حبها لواسيني تقول في مقطع آخر:" **أنا لم أكن أتصور أني سأصبح زوجة لصالح ركض ورائي حتى سحبني نحوه عرف الفجوة التي تركها في غيابك وجعلني أصدق أنا المجنونة بك أنه في النهاية رجل والرجال لا يختلفون كثيرا لا أريد أن أقول لك أني أخطأت في تقييمي فتلك مسؤوليتي ولكني أشهد لك اليوم أني عاجزة عن مقاومة غيابك**"[17] نلاحظ في هذا المثال نوع من المفارقة وهو أن مريم كانت تصبو من وراء هذا الزواج إلى أمر آخر وهو أن تشعر حبيبها واسيني بالغيرة لكي يقدم على الزواج بها والمفارقة في المثال (الخداع والتحايل).

3– عناصر اللغة الشعرية في رواية "طوق الياسمين":

سنحاول في هدا العنصر إبراز المقاطع الشعرية التي تقاطعت في رواية طوق الياسمين " **فقد نعثر في الرواية على مقاطع شعرية إذا عملنا فيها مقص المنتخب ، مقاطع تبدو كأنها شعر منثور**"[18] لهذا الغرض سنخوض في غمار الرواية لنكتشف مزيدا من المقاطع الشعرية الموجودة فيها إضافة إلى المقاطع التي سبق ودرسناها، وسنحاول إبراز أنواع الانزياحات التي وردت في الرواية بأنواعها من تشبيه واستعارات ومجازات.

– الانزياح التركيبي:

فالانزياح ظاهرة أسلوبية تدخل في الشعرية وذلك لما تضفيه من جمالية داخل المتن الروائي ، فظاهرة التقديم والتأخير هي التي تساهم في عملية استحسان الشعر " **فالتقديم والتأخير صورة من صور الاستعمال التركيبي الذي يستتبع تغيره تغيرا دلاليا**"[19]واسيني الأعرج حقق خاصية الانزياح في روايته.

* **الاستعارة:** استعمل **واسيني الأعرج** في روايته طوق الياسمين الكثير من الاستعارات كان يهدف من ورائها إلى الارتقاء بروايته إلى لغة شعرية مؤثرة ، ومن هذه النماذج التالي:

" **جميلة هذه المدينة إلى حد أنَّ من لا يعرفها يسقط على صدرها الملتهب مغمض العينين كنَّا نتمادى فيها بحذر كل المدن خادعة** " في هذا المقطع نلمس عدم الملائمة فقد نسب الروائي الصدر والذي هو عضو من أعضاء الإنسان ونسبة إلى المدينة أي أنه شبه المدينة بالصدر حذف المشبه به الإنسان على سبيل الاستعارة مكنية فالإنسان لم يذكر وإنما ذكر ما يدل عليه " الصدر" فالروائي يقصد مدينة دمشق كيف كانت في البداية حيث أن الإنسان في البداية كان يدخل إليها مغمض العينين أما الآن في نظره فقد تغيرت.

" **تحاولين نسيان كل شيء وتذكر إلا هذه اللحظة. نسيان هوس السنوات المرتعشة التي تتخيلين أنها ذهبت مع الريح أو أصبحت مثل النجوم الهاربة تموت مختنقة بيأسها**"[20] ففي هذا المقطع نجد كذلك استعارة تظهر في "

أصبحت مثل النجوم الهاربة" فالنجوم شبهت بالإنسان الذي يهرب ، إذ الهرب يقع على الإنسان لا النجوم فالمقصود نسيان تلك الأيام التي قضاها واسيني مع مريم وأن تلك الذكريات صعبة لا تعود لذلك وصفها بالنجوم لأن أبعد شيء لا يستطيع الإنسان الوصول إليه هي النجمة .

" **بدأت الطحالب والأشجار الناتئة وأشواك السدرة تنبت فيك في خفاء .ما كنت أحاول عبثا أن أستعيد وجهك**"[21] ففي هذه العبارة عدم ملائمة في وصف سريرة واسيني بوجود أشجار وطحالب كأنها غابة ، فقد عبرت مريم عن المشاعر التي بداخل واسيني مثل النباتات التي تنبت في الأرض أي أن هذه المشاعر في ازدياد دائم.

* **التشبيه:**

في مقطع نجد الروائي يعبر بلغة شعرية عن مريم :" **مريم أشتهي أن أراك مثلما رأيتك لأول مرة مفقوعة بالضحك دموعك مثل السيلانات لم تستطع التوقف**"[22] فقد شبه الروائي ابتسامة مريم بالسيلان وهذا دليل على قوة تأثير العينين حتى عندما تسيلان ، فالسيلان يسند للماء ، فقد عبر واسيني الأعرج بلغة شعرية مبهرة كانت مؤثرة إلى درجة كبيرة في هذا المقطع من خلال قوة التعبير التي أوردها الروائي ومهارته في اختيار الألفاظ والعبارات.

في مقطع آخر من الفصل الثاني من رواية طوق الياسمين يقول الروائي:" **الذاكرة مثل العاصفة أو الجنون عندما تستيقظ لا يستطيع أحد إيقافها ، تجرف كل شيء في طريقها بلا رحمة ، كانت الأوراق القديمة التي تشبه مخطوطا من مخطوطات مكتبة الظاهرية تتزاحم في ذهني الواحدة تلو الأخرى**"[23] في هذا المقطع انزياح حيث شبه الروائي ذاكرة **عيد عشاب** بالعاصفة التي تجرف كل ما تجده حيث لا يمكن لأحد أن يوقفها عندما يتذكر اللحظات التي قضاها مع محبوبته سيلفيا كما شبه تلك الأفكار التي تتزاحم في ذهنه بالمخطوطات وهذا ما دفعه إلى عدم تحملها مما أدى إلى كتابتها على شكل رسائل ، تتجلى جمالية اللغة الشعرية في هذا المقطع من خلال قدرة الروائي على سبك الأفكار وصياغتها في قوالب جمالية مبهرة.

4- التناص مع كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي:

مصطلح التناص ظهر لأول مرة على يد الباحث الغربي **ميخائيل باختين** كما استعملته **جوليا كريستيفا** في أبحاث متعددة إلا أن هذا المصطلح آثار اهتماما كبيرا في الأوساط الغربية فهو "**عملية تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم بها نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى**"[24] إلا أن هذا المصطلح ما يزال مبهم المعالم فمن النّقاد من يركز على الألفاظ ومنهم من يهتم بالدلالات التي يوحي بها النص لتظهر التناصية.

فقد تجلى التناص في رواية **طوق الياسمين** من بداية العنوان الذي تناص مع كتاب **طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي** فقد كتب **ابن حزم** في مؤلفه تجاربه الشخصية وتجارب الآخرين وصُور عن الحب فأخرج عمله في سيرة ذاتية ناتجة عن التبصر والعبرة فهو يقول" **والذي كلفتني لابد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وأدركته عنايتي وحدثني به من الثقات من أهل زمانه**"[25] فكذلك طوق الياسمين جاءت سيرة ذاتية دمشقية للروائي واسيني من خلال تصوير حياة الطلبة الجزائريين المقيمين بسوريا وكذلك عن علاقات الحب الفاشلة والتي كانت عبارة عن مجموعة من الرسائل في الحب والشوق والصبابة . بالنسبة للشخصيات في كتاب طوق الحمامة **يقول ابن حزم " فاغتفر لي الكناية عن الأسماء فهي**

إما عورة لا نستجيز كشفها وإما نحافظ في ذلك صديقا ودودا ورجلا خليلا وبحسبي أن أسمي من لا ضرر في تسميته ولا يلحقنا والمسمى عيب في ذكره إما لاشتهار لا يغني عنه الطي وترك السنين"[26] هو الآخر ذكر شخصيات مثل **عيد عشاب** ومحبوبته **سيلفيا** وشخصية **مريم** وبعض الشخصيات الثانوية كأصدقائه وأساتذته لذلك قام بالتحفظ على الشخصيات التي ذكرها مثلما يقول " **أنا أكتب حياتي قطرة قطرة، ولكن حياتي التي عشتها وحياتي التي يمكن أن أعيشها أو الحياة التي خسرتها. عندما أكتب شخصيّة قريبة منّي أو تشبهني كأن تكون أستاذ جامعي أو فنّان، هذه الشخصيّة فيها منّي، لكنّها ليست أنا في تفاصيلها، قد تكون أنا في روحها، ففي مريم هناك بعضي"**[27] فكل من واسيني وابن حزم يتقاطعان في تدوين سيرتهما الذاتية.

فواسيني قام بتبويب روايته على نهج القدماء فقد أطلق اسم أوراق على تلك الرسائل كتب في أسفل الرسالة اسم "**أوراق عيد عشاب**" كذلك فعل **ابن حزم** فقد بوب كتابه إلى ثلاثون بابا تحدث فيها عن الحب وما يعانيه المحب جراء لوعة الحب وفراقه لمحبوبه ، كتب **ابن حزم** مؤلفه وهو في منفاه **بشاطبة** تنفيذا لرغبة أحد الإخوان كذلك **واسيني** ألف روايته تَذَكُراً لتلك الأيام التي قضاها في بلاد دمشق ، فهناك تمازج في الحضارتين الأولى بلاد الأندلس والثانية سوريا حضارة الفكر والتاريخ بكل ما تحتويه هذه البلاد فكلاهما يحتوي الكثير من الديانات والتيارات الفكرية والثقافية ، ففي بلاد الأندلس كان الأمراء يتزوجون بمسيحيات وهذا دون تعصب أو شعور بالنقص كذلك في سوريا كان هذا التمازج في دمشق حيث كان الأمراء يتزوجون بالنصرانيات . هذا كان في الماضي حيث التسامح عكس الحاضر المؤلم الذي فرق بين **عيد عشاب** المسلم الجزائري و**سيلفيا** الفتاة المسيحية الذي رفض والدها زواجها منه بسبب الاختلاف في الديانات مما أدى به إلى العيش في عالم خيالي حتى أنه كان سيتخلى عن دينه من أجلها بل وصل الأمر بوالدها أنه قام بتهجيرها إلى أمريكا للدراسة يقول "**إني كنت مشغولا مع الأخ مراح الذي زراني من اللاذقية وعلمت منه أن والدك ينوي إرسالك للدراسة في أمريكا"**[28] وهذا فيه دلالة على اختلاف التفكير من عصر إلى آخر.فكل من واسيني وابن حزم الأندلسي كتبا أعمالهما في فترة نضج علمية بعد تأليف العديد من المؤلفات لذلك بلغت درجة متميزة عما سبقها من الأعمال الأخرى فابن حزم ألف كتابه في فترة سياسية متدهورة من خلال انتشار الفتن بين الطوائف ، وكذلك واسيني ألف روايته في فترة كانت فيها الجزائر تعيش وقت صعب في بداية التسعينيات. بهذا نستخلص التناص الموجود بين الروايتين.

5- شعرية العنوان والغلاف في الرواية:

يمثل العنوان بداية النص ومنتهاه وهو بمثابة البوابة التي بواستطها نلج إلى العمل الروائي. فعند قراءة عنوان "**طوق الياسمين**" نلمس فيه شعرية الياسمين التي تدل على جمال المنظر والرائحة الزكية التي تفوح منه فهذه الشجرة كما سبق وذكرنا موجودة في كل البيوت الدمشقية فربما اختيار الروائي لهذا العنوان يدل على البياض والصفاء ، فمن خلال عنوانه الفرعي كأنه يريد أن يعطينا فكرة ويظهر ذلك في كتابته " **رسائل في الشوق والصبابة والحنين**" فهذا العنوان يقوي العنوان الرئيس ويشرح لنا ما هو موجود داخل المؤلَف على أنّه مجموعة من الرسائل التي أبت إلا أن تَجمع بين الأحبة وتجعلهم يعانون لوعة الحب وآلام الفراق كما كان الأمر بين **سيلفيا** و**عيد عشاب** وكذلك بين **واسيي** و**مريم** .

بالنسبة لغلاف الرواية فقد كُتب في الأعلى اسم " **رواية** " بلون أبيض داخل مربع صغير بلون أحمر ،ربما كان الهدف من ذلك هو أن يخبر القارئ أن هذه رواية وليست سيرة ذاتية ،كان غرضه أن يختصر الطريق على المتلقي عند شرائه للرواية ، وأسفل هذا المربع نجد وجود اسم الروائي **واسيني الأعرج** بلون أسود بخط واضح للقراءة من أجل عملية ترويج من طرف الناشر تسمح للمتلقي بالإقبال على عملية الشراء . بعد اسم الروائي مباشرة نرى وجه امرأة ملامحها لا تظهر يتراءى لنا وجه مستدير ذو أنف صغير وفم صغير شعرها كأنه ذهبي اللون فوقه طوق من الزهور البيضاء واقفة وواضعة يدها على حائط صغير ورائها لون أزرق كأنه يمثل البحر وعلى جزء من وجهها يحط طائر لونه بني فهذا دلالة على حب مريم للبحر وفتحها للباب للدخول من الطوق إلى عالم الياسمين المملوءة بالنباتات الاستوائية نلمح صورة المرأة في شفافية غير بارزة على كل الغلاف بلون أزرق له دلالة على الراحة التي يشعر بها الروائي وتذكره لحب مريم للبحر يقول في أحد المقاطع " **كانت مريم قبل أن يباغت الخريف أوراقه الصفراء والشتاء ووديانه وجباله تعشق البحر حد الرعشة**"[29] فلون الزرقة يوقظ ذاكرة الراوي التي تذكره بالأيام التي قضاها مع محبوبته مريم .

*** استنتاج:**

نستشف من خلال هذه الدراسة مجموعة من النتائج التي وصلنا إليها وهي كالتالي:

– اختلاف المفاهيم التي تناولت مصطلح الشعرية من قبل الدارسين.

– اعتماد الروائي للغة شعرية ذلك لكي لا تترك القارئ يذهب بتفكيره إلى تأويلات مختلفة ، وإنما تقدم له مجموعة من الأوصاف تدخله إلى عوالم مختلفة .

– احتوت الرواية مجموعة من العناصر الجمالية المتمثلة في التضمين السردي الذي كان له دور بارز في تنويع الأحداث وذلك بغية إخراج المتلقي من دائرة الملل ، فبمجرد انتهاء الروائي من حكاية ينطلق من حكاية أخرى يعرفنا فيها بماضي الشخصيات كما تتبدى من خلال العنصر العجائبي الذي أضفى على الرواية طابع الغموض والحيرة.

– الرواية مملوءة بمشاعر الحب والحزن فهي تنتظم في إطار الشعرية فهي قائمة على ما يتشكل من إحساس كل شخصية من الشخصيات ، فهي مبنية على لغة شاعرية تحس من خلالها على صدق مشاعر شخصياتها والعذاب الذي عانوه جراء آلام الحب والفراق وقدرتها على إقناع القارئ بصدق مشاعر الروائي عند كتابته لها .

فالشعر أصبح مرتبطا بالنثر في أكثر المواقف فهذه الرواية لغتها الشعرية أكسبتها جمالية وارتقت بها إلى لغة عالية فلو فصلنا المقاطع الشعرية عن الرواية لفقدت الكثير من جمالها وشاعريتها.

وفي الأخير يمكن القول بأن الخوض في غمار هذا البحث مجال واسع لا يمكن أن نوفه حقه ، ولا نستطيع الإلمام بكل ما له علاقة ببحثنا فالباب يبقى مفتوحا لمزيد من الدراسات.

*** الهوامش**:

[1] – أرسطو ، فن الشعر،تر: ابراهيم حماده، مكتبة الانجلو مصرية ، ص 190.

[2] – جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري،دار توبقال للنشر،المغرب،ط1 ، 1998،ص15

[3] –رومان جاكبسون، قضايا الشعرية ، تر:محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال لنشر، المغرب، ط1988،1،1

[4] – تزفيطان تودوروف ، الشعرية، تر:شكري البخوت ورجاء بن يسلامة،دار توبقال للنشر، المغرب،ط2، ،1999ص23.

[5] – جون كوين، بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، 1990، ص33

[6] – ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجزائرية، تر: فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1986،ص 16

[7] – نظرية النص الأدبي، ص 35.

[8] – تزفيطان تودوروف ، الشعرية، المرجع السابق، ص 23-24.

[9] – واسيني الأعرج، طوق الياسمين (رسائل في الشوق والصبابة والحنين)،المركز الثقافي العربي، المغرب،ط2004،1 ،ص 11.12

[10] – الرواية ص 229.

[11] – الرواية ص 81.

[12] – الرواية ، ص10

[13] – الرواية، ص06.

[14] – محمد العبد ، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2 ، 2006، ص 15.

[15] – المرجع نفسه، ص 71.

[16] – الرواية ، ص 103.

[17] – الرواية ، الصفحة نفسها.

[18] – ميشال بوتور ، بحوث في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 32.

[19] – جون كوين، لغة الشعر العليا ، ص107.

[20] – الرواية، ص144.

[21] – الرواية 189.

[22] – الرواية ص 92.

[23] – الرواية ص108.

[24] – علال سنقوقة ، التخيل والسلطة في علاقة الرواية بالسلطة السياسية ، رابطة كتاب الإحتلاف ، الجزائر ، جوان 2000 ص61.

[25] – ابن حزم الأندلسي،طوق الحمامة،في الألفة والآلاف، منشورات مكتبة الحياة، ص52.

[26] – المرجع نفسه، ص53.

[27] – زهرة ديك، واسيني هكذا تكلم ...هكذا كتب، منشورات دار الهدى، الجزائر، ص 312.

[28] – الرواية ، ص 83.

[29] – الرواية ص30.